

## العرب وتجربة المأساة

بقلم صديقي اسماعيل . دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٣

هذا كتاب جديد في تفكيره واسلوبه. فالتفكير فيه رصين بعيد عن الانسياق وراء العاطفة التي تشوه الحقيقة ، والاسلوب فيه مركز بعيد عن التزاويق الشكلية التي تعودنا ان نكفن بها افكارنا. والبحث ، اكثر من ان يكون تاريخياً ، يتبدى بحثاً نظرياً فلسفياً ، لان الكاتب ينظر اليه من خلال المذاهب الفلسفية متواترة متعاقبة . ولا شك ان هذه المذاهب الفلسفية اذا اتحدت نظرتها الى المأساة واعترفت بوجود المأساة ، فان نظرتها لا تكاد تتحد في الحكم على هذه المأساة . لان لكل مذهب نظرة خاصة مثلت دورها في الحياة والتاريخ الفلسفي . ولعل من صفات هذا البحث الملائمة له ان تغلب عليه الميتافيزيقية الغيبية ، لان مضامين البحث ليست كلها مما يسلم به العقل ويدعن له المنطق .

هذا كتاب جديد في تفكيره واسلوبه. فالتفكير فيه رصين بعيد عن الانسياق وراء العاطفة التي تشوه الحقيقة ، والاسلوب فيه مركز بعيد عن التزاويق الشكلية التي تعودنا ان نكفن بها افكارنا. والبحث ، اكثر من ان يكون تاريخياً ، يتبدى بحثاً نظرياً فلسفياً ، لان الكاتب ينظر اليه من خلال المذاهب الفلسفية متواترة متعاقبة . ولا شك ان هذه المذاهب الفلسفية اذا اتحدت نظرتها الى المأساة واعترفت بوجود المأساة ، فان نظرتها لا تكاد تتحد في الحكم على هذه المأساة . لان لكل مذهب نظرة خاصة مثلت دورها في الحياة والتاريخ الفلسفي . ولعل من صفات هذا البحث الملائمة له ان تغلب عليه الميتافيزيقية الغيبية ، لان مضامين البحث ليست كلها مما يسلم به العقل ويدعن له المنطق .

بعد ان يحلل المؤلف ما يريده من معنى المأساة الانسانية بصورة عامة ، والمأساة العربية بصورة خاصة ، ينطلق الى « تجربة المأساة » في فصول قصيرة تقص اشياء هذه التجربة وتحدد تأثير المأساة في حياة الانسان وتوجيه حضارته وسعيه نحو الانطلاق . ثم ينتقل الى تطبيق النظريات المأساوية

ومن وراء هذه التجربة كان على الفرد ان يكون ضحية من اجل الحقيقة الاخلاقية . وقد تبدو هذه العنجهية الجاهلية مظهرأ لاعنف مظاهر الحرية الفردية ، ولكنها في الواقع ابلغ صورة للاذعان ،

للعقيدة الاسلامية وما تحمله من يقين. والشك الذي يتبدى لنا من خلالها هو شك لا يصل الى يقين يبنى تجربة جديدة. ولعل ارتباط الفلسفة الاسلامية بالفلسفة اليونانية التي اقتبست منها من ناحية ، وبالعقيدة الاسلامية اليقينية التي تنتمي اليها ، حال بين ما تريد الفلسفة الاسلامية او بين ما يريد العقل الفلسفي ان يقول بصراحة . وهذه الحيرة المبطنة بالمفوض والالتباس بقيت مسيطرة على الفلسفة الاسلامية ، لا تجعلها امينة للعقيدة ولا للنقل المحض نفسه ولا للارادة التي تتفجر منها . ولذلك كانت الفلسفة الاسلامية تحاول ان تعزل نفسها عن جميع الفجوات التي تحمل ملامح المأساة وتلتزم بالموقف الانساني الحر . ومن هنا بدأ الانحدار .

اما التجربة في المصور الحديثة ، « فالعرب فيها جماعات ممزقة تعيش في بيئات معزولة لا تربط بينها الا بقايا من التراث القومي القديم . والماضي يمين على جميع البيئات بشكل عفوي على الرغم من جميع النزعات الاقليمية الضيقة التي رافقت مظاهر البقعة الوطنية . ومع ان الوعي القومي كان مضطرباً او مفقوداً فان الروح القومية كانت تهيم على بنية المجتمع في كل قطر » .

وهذا حق مسلم به ، لان الروح القومية سابقة للوعي القومي . تلك تعتمد على الحق والرفض والتمرد ، وهذا يعتمد على التخطيط والتصميم . ومرد هذه الروح القومية تلك الجذور المستقرة في الحياة العربية ، التي كانت ، وحدها ، تتمثل القيم التي يمكن ان يدور حولها وعي المأساة الجماهيري للقيم التي ادانها الواقع ، وكانت ادانتها صورة المأساة التي يعانيها الجميع . وفي هذه القيم تلوح جميع الملامح القومية . وما الذي تعنيه الحرية مثلاً في حياة شعب يريد ان يعود الى التاريخ الانساني ، وهو يحمل تراثاً بعيداً من الاعراف والتقاليد ووجهات النظر والمشارع العامة يشترك فيها مع آخرين يقفون مثله على عتبة التاريخ ، ويكافحون

واستسلام مطلق لقدر غامض ، توصيحه مزججة امام المستحيل . ومن الحق اننا — برغم اعجابنا بهذه الحصيلة — لا نستطيع الا ان نرى فيها التأثير الميتافيزيقي غالباً على كل تأثير . ومثل هذا التأثير لا يستطيع ان ينفرد بالدواة والحكم وحده على الاشياء والقيم ، فهناك تأثيرات اخرى يستخدمها علماء التاريخ والمجتمع والنفس حين يدرسون شخصية امة من الامم .

واما المأساة والاسلام ، فتبدل وجهتها عند المؤلف لان نظرة جديدة الى الحياة قد ولدت في الاسلام تختلف عن النظرة السابقة. وخلاصة نظراته ان الانسان — في نظر الاسلام — هو كائن مثقل بالفجوات الحزينة ، لان مشكلته الرئيسية هي الموت ، وحيث تعيش هذه المشكلة ينشأ الارتباب بقيمة الحياة ومعناها . ومع ان فكرة الموت تهيم على آيات القرآن فان الموت ليس هو الفاجع في حياة الانسان ، ذلك لانه لا يحتم الافعان والاستسلام ، بل يمكن ان يرفض . وبذلك ينطوي الاسلام على نوع من التمرد يمكن ان يعتبر رداً حاسماً على القدر الجاهلي . هذا الرد هو الخلود ، والله هو القدر الحق . والفاجع هو مصير الانسان في الابدية ، وعلى الانسان ان يدعن لما يمكن ان تقدره المشيئة الالهية دون ان يساوره الشك في عدالتها . هذا الامكان هو محور المأساة في التجربة الاسلامية. انه صورة صارخة للالتزام بالقدر الالهي الذي ترجع اليه جميع القيم .

وفي الحقيقة لا يعني الاقدمون بكلمة القدر الا الله ، ولكنهم تحاشوا ان يسموا الشيء باسمه اجلاً . وما اسناد الفاجع الى القدر الا باعتبار القدر — في تجربة الاسلام — عاملاً مؤثراً في حياة الانسان والامم . أليس هو الله يهدي ويضل؟ أليس هو الله الذي اهم النفس فجورها وتقواها ؟

وتأتي بعد ذلك تجربة الفلسفة الاسلامية التي يثقلها الغزالي وابن رشد ، وهي مجموعة تجارب — بالرغم من انطلاقتها وتقدمها حيناً — لبثت امينة

شعباً واحداً أو جماعات متباعدة أو خليطاً من شتى الأمم .

إن مأساة الحياة العربية هي أنها لا تزال تزدهم بالتناقضات ، فمن نزعة التفرد عند الحكام إلى الأيغال في الاستبداد والبطش ، ومن جانب الزهو العاطفي الذي تبعته إجماد الماضي في النفوس إلى التخنفي للشاعر الدينية والرياء الاجتماعي ، ومن القيم الأخلاقية الضيقة إلى العلاقات النفعية في أقسى صور التنازع على البقاء والعبودية المطلقة لمطالب المعيشة اليومية والخوف من الحاجة . كل هذا ، لم يمنع الحياة العربية أو الروح العربية أن تزدهم بالوان صاخبة من نزعات التحرر ، تعبر عن شيء من الوعي الشامل لجوانب الانهيار الراهن والقلق على المصير .

ويرى المؤلف أن من « مأساتنا الحاضرة » أن الفكر عندما مشغول بظواهر السلبية والاضطراب والتناقض ، بينا الواقع وحده يقدم مواقف الإيجابية والمبادأة والتصميم . وتلك عنده هي الظاهرة الغربية في مأساة الحياة العربية المعاصرة . ولا أدري لماذا يجعلها ظاهرة غريبة ، وهي الظاهرة الطبيعية : لأن حالة كهذه الحالة لا يستطيع للفكر أن ينتهي فيها إلى قرار ، لأنه يعالج مشاكل كثيرة على ميادين كثيرة . ومن حق الفكر أن تختلف اتجاهاته ، بينا الواقع وحده يدفعنا إلى أن نستقر . ومن هنا تبدأ هوة سحيقة بين ما يحياه الناس في الواقع الحي ، وبين ما يتراعى للفكر من تصورات شتى في قضايا هذا الواقع . ولكن الحق أننا لا نستطيع الآن أن نجيب ما دامت الحركة لم تنته .

ولا شك أن البحث كبير وشائك وأوسع من أن يحتويه كتاب محدود ، ولذلك كانت الخطى فيه وثابة وكانت الأحكام سريعة تعتمد على شواهد محدودة أراها المؤلف ، وقد لا يجد المعارض كبير جهد في اقتراض النقيض معتمداً على شواهد أخرى . والنظرة السلبية تغلب على الكتاب في عروض

بالتراث نفسه لكي يستعيدوا جدارتهم في بناء المصير ؟ إن الحرية في هذا المجال هي ما يمكن أن يسهم به جميع الذين يحملون مصيراً واحداً من أجل قضية الإنسان . من ثم فإن بحث الحرية كقيمة أساسية في حياة المجتمع مهما يكن ضيق الحدود هو دعوة مباشرة إلى استعادة الكيان الواحد الذي يمثل الشرط الحضاري الأول لكل تحرر وواع يحمل الطابع الإنساني الحق .

إن في هذا الاستخراج وثبة فكرية رائعة قصور لنا قيمة الحرية في بناء كل مجتمع . ولكن نحن نجاهد في هذا المجال تجاهنا المأساة . لانتنا نريد الانطلاق ونحن نحمل تراثاً قديماً قد تخلخلت قيمه بالنسبة إلى تطور المصور ، وننشد حرية رائعة المظهر لا تذهب إلى الأعماق ، لأن للحرية مظاهر كثيرة تبدو في المجال السياسي والفكري والاجتماعي . ولعل مجتمعنا أضل الناس على نفسه بهذه الحرية التي تذهب إلى الأعماق . فالقيم لا يكفي أن تكون مقدسة حتى تحترم ، والفكر لا يكفي أن يأخذ بهذه القيم حتى يطمنن وينزع عنه شكوكه . إن الفكر يريد أن يفتش بنفسه عن قيم تنسجم مع حرته ولو كانت هذه القيم مما لا يتلاءم مع التراث القديم .

ويخرج المؤلف على ضوء هذه الانطلاقات المتفجرة في حياتنا إلى أن هنالك « حقيقة عربية » لا سبيل إلى جحودها ، بالرغم من كل المحاولات الطائشة . وكل محاولة لطرح القضية القومية في إطار الشك بوجود حقيقة عربية إنما هي من المحاولات الماتية التي يلجأ إليها الفكر عادة حين تعوزه الشجاعة على التصدي للباشر للواقع التاريخي . وبالرغم من جميع المبررات التي أتيج لها إن تصنع المشاعر « اللاقومية » فإن هناك حقيقة راسخة تعيش في منزل عن جميع الأفكار والنزعات ، هي أن التاريخ العربي ما يزال مستمرّاً . وأنه لا بد من أحياء معاصرين يمثلون هذا التاريخ ، سواء كانوا

ولست مأساة الانسان العربي وحده . واذا صح ان تكون هنالك مأساة العربي في القديم ، فارت المأساة الآن مأساة الانسان ، بعد ان اصبحت الشعوب متواصلة والقيم مترابطة . واذا كان الانسان العربي هو الآن ضحية التمزق لانه يحاول ان يوفق بين ماضيه وحاضره ، فذلك لان الانسان في كل مكان ضحية هذا التمزق . وما كان لاية قيم اقليمية او تاريخية ان تنفذ اذا لم تستمد هذه القيم قوتها وحرارتها من القيم الانسانية التي تحم المصير الواحد للانسان .

خليل المندواي

المشكلة . واذا استطاعت هذه النظرة عرض المشكلة فان السؤال يبقى : ماذا يريد الكاتب ؟ هل وضع المشكلة واكتفى ؟ ما يجب ان يكون موقف الانسان العربي : استسلام واذعان ، ام تمرد ، ام عبث وسخرية ؟ ما هي الحلول الواقعية للتجربة ، بعيداً عن الميتافيزيقية ؟ ما هو المنفذ من المأساة ؟ هل يكفي وعيها ان يكون نقطة الانطلاق منها ؟ ان هذه الاسئلة تبقى حائرة بدون جواب . ولكن هذه التجربة — برغم هذا كله — تبقى تجربة ضرورية للانتقال من الشك الى اليقين ، ومن عدم الاكتراث الى الشعور بالمسؤولية فالالتزام . لا شك ان المأساة هي مأساة الانسان في الوجود

## هذا العصر المتفجر

بقلم قسطنطين زريق . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٣

ما تتضمن من عناية بالحاضر ، ومن تقدير لخطورة المرحلة الدقيقة التي نجوزها نحن ونجوزها الانسانية في هذا اليوم الفاصل من حياتنا ، بل من الحياة التي غدت واحدة للبشر اجمعين » .

هذا الاعتراف من المؤلف ، بتفاوت الظروف واختلاف الموضوعات ، تثبت مطالعة الكتاب : لان مؤلفه لم يضع له تصميماً ، ولم يعالج موضوعاته وفقاً لذلك التصميم ؛ ولكن الكتاب ظل على الرغم من كل ذلك متماسك الاطراف ، لان الروح التي اوحت به تطالع القارئ في كل فصل من فصوله وفي كل سطر من سطور .

من الصعب ان نلخص كل ما جاء في هذه المقالات والمحاضرات ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الاشارة الى اهم الافكار التي وردت في بعض فصول الكتاب . فقد تكلم المؤلف اول ما تكلم عن العصر المتفجر ، ويعني به هذا العصر الذي نعيش فيه

تحت هذا العنوان الذي يشير فضول الكثيرين ، يعالج الدكتور قسطنطين زريق ، بالعبارة الصافية الهادئة ، موضوعات متصلة بجوهر الانسان ومرتبطة بمصيره . والكتاب الذي قدم بعنوان موضوع واحد من موضوعاته ، من قبل تسمية الكل باسم البعض ، صدر بمقدمة وضم الموضوعات التالية :

هذا العصر المتفجر ، التراث الحضاري ، التبادل الحضاري بين الشرق والغرب ، دور الجامعة في الحياة الوطنية ، المجتمع العربي بين الامس واليوم ، مبادئ الانعاش الاجتماعي ، تفرغ الباحثين والمفكرين ، اداء الثمن .

اما كيف جمعت هذه الموضوعات المختلفة في كتاب واحد ، فالمؤلف يبرر ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الفصول تتناول مواضيع مختلفة ، قد انشئت كمقالات او القيت كمحاضرات في ظروف متفاوتة ، فاني ارجو ان يلمس القارئ فيها كلها

الدور الذي تقوم به التربية في سبيل تحقيق هذه الغايات .

وفي « دور الجامعة في الحياة الوطنية » ، ينطلق المؤلف من مبدأ اعتبار الجامعة والحضارة صنوين متلازمين ، ويتكلم عن شروط الحياة الوطنية ، وحاجة تلك الحياة الى الاختصاصيين في مختلف المهن ، ودور الجامعة في اعداد هؤلاء الاختصاصيين ، ثم يتكلم عن مهمة الجامعة في اياها في طلب المعرفة للمعرفة . ويشدد على الروح الجامعية التي هي قوام الجامعة . ويذكر الوطن ، فيرى جوهره في قيم خلقية وعقلية وان هذه القيم لا تحصل الا براكز وخلايا تؤمن بها . ولما كان تاريخ البلاد لا ينفصل عن فصل الجامعات ، كان ضروريا طرح السؤال التالي : ما هو مقام الجامعة اللبنانية من اهتمام السلطات ؟ ثم ينهي البحث بقوله ان المسؤولية لا تقع على السلطات فحسب ، بل هي على عاتق الجامعيين ايضا .

بهذه الطريقة المتزنة وبقدرة عجيبة على عرض القضايا المعقدة ببساطة ووضوح ، تعرض المؤلف للموضوعات الاخرى ، عنيت المجتمع العربي بين الأمس واليوم ، ومبادئ الأنعاش الاجتماعي ، وتفريغ الباحثين والمفكرين ، واداء الثمن ؛ حيث عولج كل موضوع من زاوية خاصة ، وعرضت فيه آراء جريئة تدور هنا ، كما دارت هناك ، على تمجيد العلم وتقدير العقل والدعوة الى العقلية العلمية وما تتحلى به من فضائل .

لقد اثار الدكتور قسطنطين زريق في كتابه « هذا العصر المتفجر » اهم المشكلات التي تعترض المفكرين والمسؤولين في لبنان وفي البلاد العربية ، وكان في اثاره لتلك المشكلات من العمق والاصالة وفي اسلوبه من الوضوح والدقة ما يجعل هذه الفصول ، على قصرها ، مرجعا لا يستغني عنه أجلا من يتصدى لثل هذه الموضوعات من قريب او بعيد .

احمد مكي

والذي تتفجر فيه القنابل الذرية ، ويجري فيه تفجر العلم والمعرفة وتفجر السكان ، ويقع فيه التفجر على الظلم والمرض والجهل في سلسلة من التفجرات حتمت وضع الانسان على عتبة مستقبل رهيب ، لا يمكن ان يجابه الا بعقلية جديدة - هي العقلية التي تظل ناقصة بدون ضمير : « لانه لولا ثورة الضمير ، لما انتشر دين ولا قام اصلاح ، ولما اعطت الحضارة بعضاً من افضل ثمارها واعزها وابقها » .

هذه التفجرات التي اشار اليها المؤلف هي ، في الواقع ، من المشكلات التي تتطلب جهوداً متضافرة في الحقول التربوية والاجتماعية والحكومية والدولية ، لانها مشكلات يرتبط بها مصير الانسان .

ويعرض المؤلف في حديثه عن التراث الحضاري لمشكلة الحضارة على انها اهم مشكلات هذا العصر المتفجر ، وارتباط التراث الحضاري بالتراث الانساني يجعل خلاصة ما بلغنا من مكاسب وتحقيقات سبيلا الى الحياة الفاضلة ، وهي الحياة المتحررة : تحرر الانسان من قيود الطبيعة ومن تحكم ابناء جنسه به ومن تسلط اطاعه عليه .

وهنا يشدد المؤلف على دور التربية والتعليم لبلاقة التراث الحضاري بفهمهما . وما دام التراث الحضاري لا ينكشف الا لمن هو اهل للحضارة ، فقد وجب ان تنصرف جهود التربية الى تنمية شخصية الفرد . ولما كان التراث الحضاري كنزاً فقد احتاج الى امانة عليه ، والجامعة في طبيعة الامناء على التراث الحضاري .

وقد شدد المؤلف ، في « التبادل الحضاري بين الشرق والغرب » ، على وحدة المصير البشري كنتيجة لتفجر هذا العصر . وفي رأيه ان الفرق بين الشرق والغرب في الدرجة الحضارية ، لا في المنزلة المكانية ؛ فالغرب لاخذها باسباب الحضارة الحديثة يختلف عن الشرق المتبني للأخذ باسبابها . ولا يتم الحوار الحضاري بين الشرق والغرب الا باعادة النظر في القيم الحضارية عند الطرفين ؛ ومن هنا ايضا اهمية

## فلسطين ومنطق السیادات السیاسیة

بقلم وليد الخالدي . دار الفجر الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣

المقائيد والشعارات الدعائية المحضة عموماً الجع او اقامة التوازن بين الوسيلة والهدف .

ويعاود المؤلف الرجوع الى هذه الفكرة فيكتب : « ومركز الوعي عند الاكثرية القلب دون الارادة ، وميزة عمل الاكثرية الانفعال وليس الفعل » . كما يؤكد ، وعن صواب ، بان « عدو العرب الاول هو الجهل » .

وهذا الاسلوب البعيد عن التهويل العاطفي يبرز المؤلف الخطر الصهيوني ويصفه في ابعاده الحقيقية على الصعيد العسكري والعلمي والدبلوماسي . فعلى الصعيد العسكري ، من المنتظر ان تحصل اسرائيل على القنبلة الذرية بين عامي ١٩٦٦-١٩٦٨ ، كما يتيح نظام التجنيد الاسرائيلي ، الذي يفرض الخدمة الاجبارية على الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٩٠ ؛ عاماً مدة سنتين ونصف ، وعلى الاناث اللواتي تتراوح اعمارهن بين ١٨ و ٣٠ مدة سنتين ، يتيح هذا النظام استدعاء ثلاثمائة الف مجند ومجندة في اقل من اربع وعشرين ساعة . اما على الصعيد السياسي والدبلوماسي والدعاوي ، فشكل الجاليات اليهودية المنتشرة في انحاء العالم ، بما لها من نفوذ تجاري ومالي وتقدم علمي ، ادوات ضاغطة على الرأي العام العالمي وعلى الحكومات والمؤسسات الرسمية الاجنبية .

يتألف كتاب الاستاذ الخالدي من خمس دراسات نشرت الاولى منها في مجلة « الثقافة العربية » والاربع الباقية هي محاضرات القاها المؤلف في السنتين الماضيتين في النادي الثقافي العربي في بيروت .

حين تصبح قضية فلسطين تجارة رابحة في اسواق السياسة العربية وستاراً يحتمي وراءه المنحرفون من السياسيين او متنفساً لشق انفعالات المرارة والكبت والاسى عند الكثرة من جماهيرنا العربية ، تظهر الضرورة الماسة لمعالجة القضية الفلسطينية بأسلوب علمي يجمع بين دقة التحليل وعمقه وهدوء المنطق واتزانة والجرأة على تبيات الحقائق .

وحين يغفل العرب او اكثريتهم ، بما فيهم جزء كبير من العسكريين ، عن الخطر الحقيقي الكبير الجاثم في وطنهم مهدداً ايام بالفناء ، ويتلهون بما يقل اهمية عن ذلك ، تكون الحاجة اشد ما تكون لابرار اهمية ذلك الخطر والتنبيه الى خطورته .

وفي كتاب الاستاذ الخالدي استجابة لهاتين الضرورتين . فالكتاب ، في اساسه ، معالجة للقضية الفلسطينية ، بأسلوب علمي هادئ ، متزن مجرد عن اهواء العاطفة وبعيد عن جموحها وانفعالاتها . وبذلك يكون كتاب الاستاذ الخالدي من الكتب القليلة التي تحتكم الى العقل دون العاطفة في معالجة القضية الفلسطينية . والمؤلف لا يلتزم بهذا الاسلوب العلمي فحسب ، بل يشمر بضرورته ويدعونا اليه . ونجد هذه الدعوة خلال الدراسات التي تجمعها دفناً الكتاب . فالكتاب يبدأ بهذا المقطع :

« لعل اكثر ما نحتاج اليه عند بحث قضية فلسطين هو ما يمكن ان يسمى بالفكر التطبيقي ؛ والفكر التطبيقي هو الفكر الذي يحابه قضايا الساعة المادية الملحة بعيداً ما امكن عن السفسطة

## حول مقالات سابقة

وردنا من الاستاذ كمال سنو (بيروت) ، تعليقاً على فقرة وردت في مقال « في قلق المثقفين العرب » للاستاذ مجدي وهبه ( « حوار » ٤ ) ، ان العبارة الاخيرة في الحديث النبوي المقتبس : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله الى ما يرضي رسول الله » يجب ان تكون في الواقع كما يلي : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » .

وطلب اليانا الاستاذ مدثر عبدالرحيم (مانشستر) ان نشير الى ان النقاش الذي دار بينه وبين الاستاذ ميشال غريب في عدتنا السابع كان في اصله اكثر اسباباً وتفصيلاً وان بعض فقراته قد اقتطعت منه .

الجهات الاخرى ، ثم استفردت جيش الانقاذ في الجليل بعد ان تأكدت كذلك من عدم تحرك جبهات القتال الباقية . وهكذا يحتم الوضع العسكري العربي تجاه اسرائيل قيام الوحدة بين الدول المحيطة بها او على الاقل قيام وحدة عسكرية وثيقة متماسكة بين هاتيك الدول .

وبعد ، فان الاستاذ الخالدي ، بابراره معالم الخطر الصهيوني، يشعر القارئ العربي بمسؤولياته . ولا يجوز ان تبقى دولة عربية واحدة تتحمل القسط الاكبر من تبعات عمارية الخطر الصهيوني . فعلى العرب ، كل العرب ، ان يشعروا بما قد يكون اعظم مسؤولية قد القيت على عاتقهم في تاريخهم الحديث والقديم — مسؤولية الاستعداد والتعبئة لمركبة استرداد الوطن السليب .

وتحمل هذه الدراسات التي تتناول بعضاً من مظاهر القضية الفلسطينية العناوين التالية : « قضية فلسطين والفكر التطبيقي » ، « فلسطين ومنطق السیادات السياسية » ، « العوامل الخارجية في القضية الفلسطينية » ، « الوحدة العربية بين الحقيقة والمجاز » ، « استراتيجية اسرائيل » .

ولئن كانت الدراسات التي يشتمل عليها الكتاب منفصلة الواحدة منها عن الاخرى ، الا ان القارئ يستطيع ان يجد بعض الافكار الرئيسية التي تظهر فيها جميعاً او في معظمها . حسبنا الاشارة الى فكرتين اساسيتين . الفكرة الاولى هي ان قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم . ويوضح المؤلف ذلك بقوله : « لقد خرجت القضية عن اطار ثنائية بين الشعب الفلسطيني والجمالية اليهودية في فلسطين ، واصبحت بعد ان بلغت اسرائيل من القوة مبلغاً تستطيع فيه تهديد اكثر من عاصمة عربية والقيام بازالة معالم جغرافية ازلية في المنطقة قضية ثنائية بين اسرائيل وكافة العوامل التي تساندها وبين اقصى ما يمكن للشعب العربي باسره ان يعبىء من قوة وجهد » .

وهذا رأي مصيب بلا جدال . فاذا كان من الضروري وضع الفلسطينيين امام مسؤولياتهم للمركبة القادمة ، كذلك يجب وضع العرب جميعاً امام مسؤولياتهم — فالخطر يهدد الجميع على حد سواء .

اما الفكرة الرئيسية الثانية التي تتردد بين طيات الكتاب اكثر من مرة فهي فكرة الوحدة وعلاقتها المباشرة بحل القضية الفلسطينية . ويرى المؤلف ، وعن حق ، ان الوحدة العربية لا تفرضها ضرورات قومية واقتصادية فحسب ، بل يفرضها كذلك وجود الخطر الصهيوني مهدداً العرب اجمعين . فاسرائيل كانت قد طبقت في حربها مع الدول العربية عام ١٩٤٨ ما يسميه المؤلف بسياسة « استنزاف الدول العربية » ، دولة فدولة . فهي قد استفردت بمصر في الثقب بينما تأكدت من هدمه

## القصّة القصيرة في لبنان

« سفينة حنان الى القمر » ، بقلم ليلى بعلبي . المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ .

في قصص « سفينة حنان الى القمر » توقف عند احداث داخلية تتمثل في نفس المؤلفة ، والتفتت الى الذات بمشاكلها المأساوية ، بمحاولاتها الارادية للانفلات ، للتفجر . ونرى في الوقت نفسه ان المؤلفة قد جمعت بين هذا المسرح الداخلي الباصف او المستكين وبين المسرح الخارجي الذي يلتقي فيه او يبتعد ، يتألف او يتنافر ، ينسي او يثير كل هذا الدفق من الحياة المنشطر الى تيارين : تيار يأس والم وتيار تفاؤل وغبطة .

جدلية اللذة والالم لونت تلك الصفحات القصصية التي تعيشها المؤلفة والتي تجذب بسحرها وواقعيتها القارئ .

عنصر المفاجأة في تلك القصص انها لا تكاد تطرح الحالة النفسية ، التي تنبع كالشر من كل عنصر من عناصر النفس او الغير او الكون الخارجي ، الا وقد تبلورت من خلال هذا الوصف ، الذي يبدو وكأنه لا غاية له الا الوصف ، مشكلة ذات غور يبكي وذات وجه يأبى الا التفاوض والمعاندة وارادة صنع الكون من جديد لتجديد معناه ، ( وفي ادنى الحالات للمحافظة على معنى للحياة ) .

لا بد لهذا الانتقال السريع ، من العفوية في تسجيل كل شاردة تمر الى غور الحالة المأسائية في صميمها ، من خلق نوع من المجابهة الدائمة بين مصير داخلي يتأزم وبين حركة ومظاهر خارجية فيها الكثير من الابتعاد اللامبالي بهذا المصير او التلاقي المر القاسي احياناً الى درجة وحشية محطمة للمعنويات .

عندما نذكر ليلى بعلبي نذكر كتابها الاول « انا احيا » . ذلك ان نفحة ، بل صفحة جديدة من الادب الروائي العربي ، قد فتحت بهذا الكتاب . وجاءت بعده رواية « الالهة المسوخة » ، التي تشكل بعداً آخر من ابعاد فن ليلى بعلبي ، ثم الآن « سفينة حنان الى القمر » ، مجموعتها القصصية الاخيرة التي اتخذت عنواناً لها اسم احدي قصصها ( ظهرت اولاً في « حوار » ) .

نواجه في هذا الكتاب شخصية ليلى بعلبي بالكمونات الاساسية نفسها التي برزت في « انا احيا » مع تقدم محسوس في الناحية الشعرية والتصويرية في الاسلوب وبلوغ نقطة النضج في الازمة المصرية اللازمة التي تحياها للمؤلفة .

محور « مشكلة » ليلى بعلبي - اذا جاز التعبير - هو علاقة المرأة الشرقية بالرجل ومصير شخصيتها وحريتها ضمن الاطار الاجتماعي والاخلاقي الراهن . لكن هذه المشكلة التي يكتنننا نعتها بالمشكلة « العامة » تنزل من عموميتها ومن نطاقها الفكري المجرد وتتجسد في شخصية منفردة باحاسيسها ، منفردة في معايشة الكون الخارجي ، صاخبة العلاقة ، زاخرة بالدرامية مع كل نقطة تماس مع الاقران ، مع المناخ الخارجي ، مع حياة كل شيء في هذا الكون الذي تكمن فيه روح متميزة وغاية شر او خير ، وقبح او جمال .

لذا نرى تشابك خطوط شخصية ليلى بعلبي مجسدة في نوع من جدلية الازدواج الموجودة في المجتمع بل في الفرد ذاته وفي كل لوحة من لوحات الطبيعة المتقلبة الطقس والفصول .

قصة هذه المجابهة المتنوعة الفصول تذكرنا بصراع « الشيخ والبحر » لهمنغوي وبما يرمز اليه هذا الصراع من ملاحقة الحلم الكبير الذي تقتناهسه حيتان البحار ويتناهسه الواقع اليومي المتبدل في قصص ليل بلعبيكي .

اما وان الادبية قد الفت اضواء ، باسلوبها المعصي ، الحسي ، الملوث ، التصويري والشعري معاً ، على حدود المشكلة ؛ اما وان قصتها تنتقل معها بالسفر ، بالمغامرة الليلية ، وتلازمها حين تنظر الى ضباب ومشهد طبيعي جميل ، او حين تقشعر لمصادفة وجه من الوجوه ، او تسبر غور واقع مبتذل بنظرة او لقطة سريعة ؛ فيمكننا ان

نقول انها محور قصصها ومركز اللغز فيها . نشاطر الكاتبة ونحن نقرأها احساسها الداخلي وطريقة تخيلها وتقييمها لكل شاردة وواردة في هذا الكون ؛ نحيا معها بطريقة صاخبة غربتها او تلاقيها الصارخ مع الكون ؛ نستطيع ان نقول دائماً بعد قراءتها ، وكان شيئاً في احساسنا ووعينا للكون قد تغير ، اننا « نحيا » : اي نبتعد عن عالم الفكر المجرد ، عالم « الكتابة » و « الادب » والصنعة المزيفة . « سفينة حنان الى القمر » هو من الادب الحي .

هاني ابي صالح

- « الساعة والانسان » ، بقلم سميرة عزام . المؤسسة الاهلية ، بيروت ، ١٩٦٣  
 « يبقى البحر والسماء » ، بقلم نور سلمان . المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٣  
 « الارض القديمة » ، بقلم يوسف حبشي الاشقر . المطبعة المخطئية ، صيدا ، ١٩٦٢  
 « اعصاب من نار » ، بقلم جورج شامي . دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣

ان السؤال المطروح فعلاً ، هو هل هناك نتاج ادبي يستحق ان تلتف حوله حركة نقدية صحيحة؟ ان الادب الجيد هو الذي يخلق الناقد الجيد ، وان الفن الاصيل هو الذي يرغب الناقد بان يكون مسؤولاً وان يكون تقييمه صحيحاً وحكمه عادلاً ومنصفاً .

وفي مثل هذا الوقت من كل سنة ، تفيض الاسواق بعشرات الكتب التي تصدر عن دور نشر لبنانية وعربية ، صار من اسبابها في السنوات الاخيرة جوائز جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان ، وفي خارج لبنان تقليد قديم يعود الى افتتاح المدارس وانصراف الناس الى القراءة في مثل هذه هذه الفترة من كل سنة . فهل من بين هذه الكتب

هل صحيح ان حركة النقد في لبنان ، والى حد اكبر في الوطن العربي ، مشلولة ، قاصرة ، عاجزة عن اللحاق بغزارة النتاج الادبي الذي يغمر الاسواق عند بدء الموسم الادبي كل سنة ، وبيروت مركز النشر الاول ؟

ان السؤال ، اصلاً في رأيي ، ليس مطروحاً وليس وارداً ، بقدر ما هو صيحة يطلقها الادباء في كل مكان عندما لا يجدون من يلتف حول نتاجهم ويفهمهم بسبل من المقالات التي تجدد ما انتجته قرائهم ، او لا يجدون من يشير الى ما تلفظه المطابع كل شهر من كتب ؛ فيتهمون النقاد بالتقصير ، او يتهمون النقاد بحب التهديم ، ويتهمون النقاد بالمجز الفني ، وان الناقد هو اصلاً كاتب فاشل .

اشخاصها ، لا تشعر بك بانها امرأة. فلا هوس نسوي عندها ، ولا لمسات انوثية ، ولا شخصيات او صور او مواضيع منتقاة من تجارب او مشاهدات امرأة. فهي على عكس ليلي بملبكي في مجموعتها القصصية الاخيرة « سفينة خنان الى القمر » ، حيث تحس ان وجودها كأمراة هو ام ما عندها ، وتمكس هذا الوجود الى داخل تجاربها الفنية ، فتعطيك تمزق المرأة الحقيقي ، وتوتر الفنان ، بكل ابعاده الشعرية. وسيرة عزام تفتقد الرؤى الشعرية والحس الشعري في كل قصصها ، وتفتقد الزخم الانثوي ، غير مستفيدة منه .

وبالرغم من السرد القصصي المتين عند المؤلفة ، واعتمادها على الرموز في كثير من الحالات ، تجد انها تقتل هذه الرموز حيث تقتل مأساوية معينة ، كما في حالة موت الرجل في قصة « الساعة والانسان » ، بينما تجد في قصة « طير الرخ في شهر بان » انها غنية بالرمز والتركيز الفني الواضح والسرد القصصي الذي اصبح اسلوباً .

اما نور سلمان فتجد ان ما قدمته في مجموعتها « يبقى البحر والسماء » ، هي قصص قصيرة بعيدة كل البعد في سردها وسبكها وصياغتها واسلوبها عما يتوقعه الناس في القصة القصيرة التقليدية ومفاهيمها المتفق عليها . فنور سلمان كاتبة اسلوب في القصة القصيرة ، كما هي كاتبة اسلوب في المقالة .

ونور سلمان تكتب الكلمة من اجل الكلمة نفسها ، لا من اجل ان تؤدي معنى او تتوصل الى نتيجة ، حتى وان كانت بلا معنى او دون نتيجة. الكلمة عندها اداة من ادوات الترف اللفظي او الزينة اللفظية ، المهم فيها ان تأتي جملة اللفظ ، موسيقية المعنى ، خفيفة الجرس. فنور سلمان كاتبة كلمة مترفة . والمقارنة مع ليلي بملبكي لا بد ان ترد من جديد : فليلى بملبكي تستعمل الكلمة بتعمل وتستهملها بنزق كأداة تعبير وجودي ، لا يهمها لفظها او جرسها او وقعها ؛ يهمها ان تؤدي مهمة معينة ، وان تحترق كل الاستار والحجب . الكلمة

العديدة ما يسهل مهمة الناقد في الوصول الى حكم حقيقي ، او تحقيق مهمته على اصولها ؟

وهل يمكن للناقد ان يحقق مهمته دون ان يكون هناك عمل فني صحيح ؟ ان من الضروري للفنان الاصيل ان يمسك ويسيطر ويحول التجربة الى فكرة ، والفكرة الى تعبير ، والتعبير الى مادة ، والمادة الى شكل . ان التفاعل العاطفي ليس كل شيء بالنسبة للفنان ، فعلى الفنان ان يجيد مختلف جوانب صناعته وان يستمتع بها ، ويعرف كافة قوانينها واشكالها وتقاليدها ، حتى يستطيع ان يروض موضوعه داخل اطواره الفني . فالتمزق والعاطفة الاصلية تخدم الفنان الحقيقي ، ولكن الفنان لا يستغفر الوحش ، انما يروض الوحش . والفنان يروض للفكرة ، يخرجها من ضبايتها الى ايجابية الحقيقة ؛ فاللاعب الحقيقي في الفن دليل التملك من وسائل التعبير والسيطرة عليها .

فهل من بين اصحاب النتاج الجديد في لبنان من يملك السيطرة الكاملة على وسائل التعبير ومن يجيد صناعة الفن الحقيقية ويلم بمختلف جوانبها ؟

ولنبداً بمجموعة قصص سيرة عزام « الساعة والانسان » التي فازت بنصف جائزة جمعية اصدقاء الكتاب للقصة القصيرة هذه السنة . فسيرة عزام لم تعد كاتبة ناشئة ، والمسافة التي قطعتها بين كتابها الاول « اشياء صغيرة » و « الساعة والانسان » ، كتابها الرابع ، اخذت حوالي العشر سنوات ؛ لم يحس بها القارئ مطلقاً ، ولم تتقدم بسيرة عزام ولا خطوة واحدة . فهذا الكتاب الصغير المؤلف من ثنائي قصص عادية الطول ، وست قصص قصيرة جداً جمعها تحت عنوان « قصيرة... قصيرة » كان من الافضل ان لا تنشر ، كتاب عادي لا جديد في المواضيع المطروحة فيه . فالشخصيات عادية ، والوجوه مألوقة ، والامكنة مطروقة ، والظروف اصبحت ظروفاً قديمة في عالم متغير سريع .

وسيرة عزام ، بالرغم من قدرتها على البناء القصصي الجيد ، ورسم الظلال والاعتناء بالجزئيات في

عند ليلي بطبكي، بمكسها عند نور سلمان ، وسيلة وليست غاية مجد ذاتها .

وجاءت قصص «يبقى البحر والسماء» محاولات في تجسيد الفكرة الساذجة ، مفتقرة في أكثرها الى الحادثة ، التي هي لماس القصة القصيرة . ولكنها قصص تلاعبت فيها اصابع فنانة مسالة ، واضحة الشخصية ، مميزة المعالم ، تهوى الترف اللفظي الذي يشفع له دائماً جديته واصالته وتكرسه .

ويوسف حبشي الاشقر ، صاحب « الارض القديسة » الكتاب الذي فاز بالنصف الآخر من جائزة جمعية اصدقاء الكتاب للقصة القصيرة ، يكرس من جديد حكاية القرية اللبنانية التقليدية المستنفدة . فالجموعة مؤلفة من اربع قصص طوال قدور تحول نفس الاطوار وفي نفس الجو . القرية نفسها لا تتغير ، والشخصيات لا تتبدل ، ومشاكلها لا تحل ، فهي الحكاية المحكاة والمعادة والمستنفدة الفد مرة ومرة .

فراخيل وبو جرجي وانطون وابو روز هي الوجوه المهزوزة التي يقدمها ، وحكاية الاغتراب القديمة المملة ، واسطورة خطيب الضيعة ، وجنون بائع الكشة في افريقيا ، وهوس الفران . الكهل ، هي ام الملامات الفارقة في قصصه : فيوسف حبشي الاشقر لا يجيد الحديث الا عن لبنان - القرية الذي انتهى ، لبنان المعزول عن كل تيار انساني يخلق الانسان المعاصر اليوم ، لبنان - المدينة ، لبنان الحقيقي ، فتحس انه في واد ، والعالم في واد آخر .

وصاحب « الارض القديمة » كاتب يطيل التحديث في الجزئيات والتفاصيل التي لا تؤثر في سياق القصة القصيرة ، بل تضعفها وتتناقض مع انس بنيانها . وابعاده ابعاد لا تصل ابعد من قرن الضيعة ، او من تينة الجار ، او نبع الساحة ، او مشمشة ابن العم . ولا بد من ان تكون في قصصه عبر ومواعظ اخلاقية ، تصلح لكتب قراءة لتلاميذ المدارس الثانوية اكثر مما تصلح لكتاب ينال جائزة .

جورج شامي يقف في « اعصاب من نار » فوق هؤلاء القصاصين الثلاثة ، كفاءة وفناً وفهماً للتكنيك القصصي وابعاده الانسانية الحقيقية . ولولا شيثان في مجموعته ( مقدمة انسي الحاج التي لا مبرر لها ولا طعم ولا رائحة ، وقصة «خطوات على الماء» ) لكانت قصصاً كاملة وفي منتهى النجاح .

عند جورج شامي معين هائل من السخرية والعنف والتحدي . السوداوية والغرف تلازمه دائماً في رؤيته البعيدة لحقيقة احساس الفنان الاصيل بعملية الخلق الصعبة ، وبالوجوه البشرية التي تعيش معه . وتعاني من عقد الحياة كلها . وجورج شامي انسان معاصر ، عرف كيف يكتب عن العالم الحديث الخنوق بالخوف والكرامية ، يقذف بانفعالاته في وجه الكل . انه من القلائل - مع زكريا تامر - الذين يكتبون قصة قصيرة حديثة . فقصة «دور في المعركة» و «اعصاب من نار» ، وهما في رأيي من انجح وام قصص المجموعة ، يبلغ فيها الفن القصصي ذروته وتبلغ الهاوية الانسانية عمقها . اللغة فيها حسية ، ناعمة ، عصبية ، قلقة . والبناء القصصي السليم والابعاد التكنيكية تكاد تكون مكتملة الشكل . فجورج شامي انسان ساذج ، يعكس سذاجته في شخصية المرأة التي تبدو بوضوح في « اعصاب من نار » ، ويبدو معها تلهفه عليها ، كما تبدو بوضوح آخر في « دور في المعركة » ، وتبدو معها غودته الى طفولته في أنوثتها . فهو يعرف كيف يتلاعب بالصور والظلال والشخصيات ، وفوق كل هذا يعرف كيف يصور الحس الحقيقي للانسان المعاصر .

وجورج شامي ، وحده ، من دونهم كلهم ، يحق له أن يطرح سؤال البحث عن نقد صحيح ، ويحد ان مهمة الناقد هي في السعي المشترك للوصول الى حكم حقيقي . فهو يعرف كيف يروض الفكرة ويسيطر عليها ويطلقها .

رياض نجيب الرئيس